جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

السنة الأولى ماستر(لسانيات عامة). السنة الجامعية: 2023/2022
التخصص: لسانيات عامة. السداسي الأول.
مادة: أعلام البحث في التراث العربي. أستاذ المادة: أ. د. محمد بن يحي.

المحاضرة الثانية: أوائل النحاة: عبدُ الله بنُ أبي إسحاق الحَضْرَمِيّ (ت: 117 هـ) وتلاميذه.

بعد المرحلة الأولى التي يمثلها أبو الأسود الدؤلي (ت: 69 هـ) وتلاميذه، التي نُقط فيها المصحف الشريف إعجاما وإعرابا، ووضع فيها أبو الأسود الدّؤلي بعض أبواب النحو، جاءت المرحلة الثانية التي تُعدّ بحقّ بداية وضع النحو بمفهومه العلمي. ويتصدّر هذه المرحلة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وتلاميذه.

1- عبد الله بن أبي إسحاق الحَضْرَمِيّ[1]: هو عبد الله بن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي (ت:117هـ). ويعد أول النحاة البصريين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، ويتبعه في هذه الأولية المبكرة جيل من تلاميذه في مقدمتهم عيسى بن عمر (ت: 149 هـ) وأبو عمرو بن العلاء (ت: 154 هـ)، ويونس بن حبيب (ت: 182)[2].

يقول ابن سلّام: «كان أول من بَعَجَ (فتق) النحوَ ومدّ القياس والعلل»[3]. وبذلك يجعله الواضع الأول لعلم النحو؛ إذ كان أول من اشتق قواعده، وأول من طرَد فيها القياس، بحيث يُحْمَل ما لم يُسمع عن العرب على ما سُمِع عنهم. وقد قيل: «فَرَعَ عبد الله بن أبي إسحاق النحو، وقام وتكلم في الهمز، حتى عُمل فيه كتاب مما أملاه»[4].

ويروى أن يونس بن حبيب سأله عن كلمة "السُّوَيْق" -وهو الناعم من دقيق الحنطة- هل ينطقها أحد من العرب "الصُّوَيْق" بالصاد؟ فأجابه: نعم، قبيلة عمرو بن تميم تقولها. ثم قال له: وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطَّرِدُ ويَنْقاس[5].

---

[1] تراجع ترجمة ابن أبي إسحاق في: أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ط2، 2009، ص25. والزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، (د ت)، ص31 وما بعدها. وابن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، 1998، ص27-28. والقفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1986، 2/ 104 وما بعدها.

[2] شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1983، ص23.

[3] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، القاهرة، (د ط)، (د ت)، 14/1.

[4] السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد جاد المولى بك وآخرين، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، (د ت)، 2/ 398.

[5] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، 15/1.

ولم يُعْنَ ابن أبي إسحاق بالقياس على قواعد النحو، فحسب، بل عُني أيضا بالتعليل للقواعد تعليلا يُمَكِّن لها في أذهان تلاميذه. وجعله تمسكه الشديد بتلك القواعد المعلِّلَة والقياس عليها قياسا دقيقا، بحيث لا يصح الخروج عليها، يُخطِّئ كلَّ من ينحرف في تعبيره عنها[1]. وكان لذلك كثير التعرض للفرزدق (ت: 114 هـ) لِمَا كان يرد في شعره من بعض الشواذ النحوية. ويذكر الرواة أنه حين سمعه ينشد قوله في مديحه لبعض بني مروان [من الطويل]:

وَعَضُّ زَمَانٍ يا بْنَ مَرْوانَ لَمْ يَدَعْ***مِنَ المَالِ إِلَّا مُسْحَتًا أَوْ **مُجَرَّفُ**[2]

اعترضه؛ لرفعه قافية البيت، وكان حقها النصب؛ لأنها معطوفة -كما يتبادر- على كلمة "مُسْحَتًا" المنصوبة[3]، أو بعبارة أدق: لأن القياس النحوي يحتّم ذلك ويوجبه. ويظهر أن الفرزدق قصد إلى الاستئناف؛ حتى لا يحدث في البيت إقواء يخالف به حركة الروي في القصيدة[4].

وسمعه مرة يصف رحلته إلى الشام في قصيدة مدح بها يزيد بن عبد الملك [من البسيط]:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا***بِحاصِبٍ كَنَديفِ القُطْنِ مَنْثورِ

عَلَى عَمائِمِنا يُلْقَى، وَأَرْحُلُنا***عَلَى زَواحِفَ تُزْجَى، **مُخُّها رِيرِ**[5]

فقال له: أسأت، إنما هو "**مُخُّها رِيرُ**"(بالرّفع)، مشيرا بذلك إلى قياس النحو في هذا التعبير؛ لأنه يتألف من مبتدأ وخبر.

وما زال ينحى على الفرزدق باللائمة حتى جعل الشطر: "عَلى زَواحِفَ نُزْجيها مَحاسِيرِ"[6].

وكانت مراجعته المستمرة له تغضبه، فهجاه بقصيدة يقول فيها [من الطويل]:

فَلَوْ كانَ عَبْدُ اللهِ مَوْلًى، هَجَوْتُهُ***وَلَكِنَّ عَبْدَ اللهِ مَوْلَى **مَوالِيا**[7]

وما كاد يسمعه منه حتى قال له: «ولقد لحَنْتَ أيضا في قولك: "مولى مواليا" وكان ينبغي أن تقول: "مولى موالٍ"»[8]، يريد أنه أخطأ في إجرائه كلمة "مَوالٍ" المضافة مجرى الممنوع من الصرف؛ إذ جرها بالفتحة، وكان ينبغي أن يصرفها قياسا على ما نطقت به العرب في مثل: جَوارٍ، وغَواشٍ؛ إذ يحذفون الياء مُنوّنين في الجر والرفع[9].

ويبدو من هذه المحاورات بينه وبين الفرزدق مدى احتكامه للقياس، وما ينبغي للقاعدة من الاطراد، بحيث لا يجوز للشاعر -مهما كان فصيحا- أن يخرج عليها.

---

[1] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص23.

[2] مُسْحَتٌ ومُجَرّفٌ: مُسْتَأْصَل.

[3] ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص28.

[4] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص23.

[5] الشمال: الريح. الحاصب: الريح التي تحمل الحصباء. الزواحف: الإبل العجفاء التي أعيت فجرت خفافها. تزجى: تساق. رير: ذائب.

[6] السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص21. محاسير: ج: محسور: من حسرت البعير، إذا أتعبته.

[7] كان ابن أبي إسحاق مولى آل الحضرمي، وكانوا بدورهم موالي لبني عبد شمس القرشيين.

[8] ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص28.

[9] ينظر: سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1972، 3/ 308.

وواضح أن عبد الله بن أبي إسحاق الحَضْرَميّ فتح لنحاة البصرة من بعده بمراجعاته للفرزدق أن يُخطّئوا الشعراء الفصحاء، لا من الإسلاميين مثل الفرزدق، فحسب، بل ومن الجاهليين أيضا.

ولم يُؤْثَر عن ابن أبي إسحاق كتاب في النحو، وكأنه كان يكتفي بمحاضراته وإملاءاته على تلاميذه، وكلّ ما أُثِرَ عنه كتاب في الهمز، ويبدو أنه عالج فيه مسألة رسمها حين توصل، وحين تقطع، وحين تسهل، وحين تدخل على همزة أخرى، وحين تتصل بحروف العلة، مما يتصل بالدقة في كتابة الذكر الحكيم؛ إذ كان من القراء النابهين في موطنه[1].

2- **عيسى بن عمر الثّقَفي (ت: 149 هـ)**[2]: من موالي آل خالد بن الوليد، نزل في ثقيف، فنُسب إليها، وهو من أهم تلاميذ ابن أبي إسحاق، وعنه أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175 هـ).

ولعيسى بن عمر كتابان: "الجامع" والإكمال". قال الخليل:

ذَهَبَ النَّحْوُ جَميعًا كُلُّهُ***غَيْرَ ما أَحْدَثَ عيس بْنُ عُمَرْ

ذالكَ إِكْمالٌ وَهذا جامِعٌ***فَهُما لِلنّاسِ شَمْسٌ وَ قَمَرْ[3]

وقد مضى عيسى بن عمر على نهج أستاذه ابن أبي إسحاق يطرد القياس ويعمّمه. ومن أقيسته ما حكاه عنه سيبويه (ت: 180 هـ) في قول الأحوص (ت: 105 هـ) [من الوافر]:

سَلامُ اللهِ يا **مَطَرًا** عَلَيْها***وَلَيْسَ عَلَيْكَ يا مَطَرُ السَّلامُ

كان يقيس النصب في كلمة "يا مَطَرًا" على النصب في كلمة "يا رَجُلًا"، وكأنه يجعل "مطرا" في تنوينها ونصبها كالنكرة غير المقصودة[4].

والرواية عند سيبويه: "يا مطرٌ" بالتنوين، وبناء على الضم. وقال: «فإنما لحقه التنوين كما لحق ما لا ينصرف؛ لأنه بمنزلة اسم لا ينصرف»[5].

وكان مثل ابن أبي إسحاق يطعن على العرب الفصحاء، إذا خالفوا القياس، وكان يصعد في هذا الطعن حتى العصر الجاهلي. ومن ذلك تخطئته النابغة (ت: 18 ق هـ) في قوله [من الطويل]:

فَبِتُّ كَأَنّي ساوَرَتْني ضَئيلَةٌ***مِنَ الرُّقْشِ في أَنْيابِها السُّمُّ **ناقِعُ**[6]

إذ جعل القافية مرفوعة، وحقها أن تنصب على الحال؛ لأن المبتدأ قبلها تقدمه الخبر، وهو الجار والمجرور، وكأن النابغة ألغاهما؛ لتقدمهما وجعل "ناقع" الخبر[7].

---

[1] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص25.

[2] ينظر ترجمته في: أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص33. والسيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص25-26. والزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص40 وما بعدها. وابن الأنباري، نزهة الألباء، ص29. والقفطي، إنباه الرواة، 374/2 وما بعدها.

[3] ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص30.

[4] سيبويه، الكتاب، 203/2.

[5] - المصدر نفسه، 2/ 202.

[6] ساورتني: واثبتني. ضئيلة: حية دقيقة. الرقش من الأفاعي: المنقطة بالبياض والسواد. ناقع: قاتل.

[7] سيبويه، الكتاب، 89/2. والزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص41.

ويبدو أنّ "ناقعُ" في البيت نعت منقطع لـ "السمّ"، أي: إنها خبر لمبتدإ محذوف تقديره "هو" يعود على "السّمّ".

ومن أقيسته في القراءات أنه كان يقرأ الآية الكريمة: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[سبأ/10] بنصب كلمة الطير، وكان يقول: هو على النداء، كما تقول: "يا زيدُ والحارثَ"، لما لم يمكن القائل: "يا زيدُ ويا الحارثُ" نصبَ الكلمة؛ لأن "يا" لا تدخل في النداء على المعرف بالألف واللام[1].

ويروى أنه كان يخالف جمهور القراء في قراءة الآية الكريمة: ﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود/78]، إذ كان يقرؤها **بنصب "أَطْهَرَ"**[2] على الحال وجعل "هُنّ" ضمير فصل.

ويبدو أنه **كان يتوسّع في تقدير العوامل المحذوفة**، ومن ذلك ما رواه عنه سيبويه من أنه كان يلفظ قولهم: "ادخلوا الأوّلُ فالأوّلُ" برفع الكلمتين الأخيرتين على تقدير أنهما مرفوعتان بفعل مضارع محذوف تقديره: "لِيَدْخُلْ"، فحمله على المعنى[3].

وقد وضع "عيسى بن عمر" أصلا مهما يدل على دقة حسه اللغوي، وهو اختيار النصب في الألفاظ التي جاءت عن العرب في بعض العبارات مرفوعة ومنصوبة[4]. قال شوقي ضيف: «وكأنه أحس في وضوحٍ أن العرب تنزع إلى النصب أكثر مما تنزع إلى الرفع؛ لخفته، فجعل النصب فوق الرفع وعده الأساس.

وليس ذلك كل ما تحقق للنحو عنده من رقي، فقد خطا به خطوة كبيرة، إذ ألف فيه رسائل ومصنفات مختلفة، اشتهر منها لعصره مصنفان مهمان هما: "الجامع" و"الإكمال" وكأنه جمع مسائل النحو وقواعده في أولهما، ثم رأى إكمال تلك القواعد والمسائل في الكتاب الثاني. وقد أقام قواعده في الجامع على الأكثر في كلام العرب، وسمّى ما شَذَّ عن ذلك لغات»[5].

3- <u>أبو عمرو بن العلاء (70 هـ - 154 هـ)</u>[6]: في بعض الروايات اسمه: زبّان بن العلاء المازني التميمي، ولد سنة 70 هـ بمكة، ونشأ وعاش بالبصرة وتوفي بها. وقد تتلمذ لابن أبي إسحاق.

وهو أحد القراء السبعة المشهورين. وعني بإقراء الناس القرآن في المسجد الجامع بالبصرة، كما عني بلغات العرب وغريبها وأشعارها وأيامها ووقائعها.

---

[1] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، 1/ 21. والزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص41.

[2] ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص65

[3] سيبويه، الكتاب، 1/ 398.

[4] ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، 1/ 19.

[5] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص26.

[6] ينظر ترجمته في: أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص27 وما بعدها. والسيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص22 وما بعدها. والزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص35 وما بعدها. وابن الأنباري، نزهة الألباء، ص32 وما بعدها. والقفطي، إنباه الرواة، 131/4 وما بعدها.

يقول الجاحظ عنه: «حدثني أبو عبيدة قال: كان أبو عمرو أعلم الناس بالغريب والعربية، وبالقرآن والشعر، وبأيام العرب وأيام الناس»[1]. وهو أقربُ إلى اللغويين والقرّاء منه إلى النحاة، غير أنه نُقلت عنه بعض الآراء النحوية[2]. وقد قال ابن جني بأنه كان ممن نظروا في النحو والتصريف وتدربوا وقاسوا[3].

ولم يروِ عنه "سيبويه" شيئا مهما في النحو ومسائله، إنما روى عنه بعض الشواهد اللغوية، ولم يأخذها عنه مباشرة، وإنما أخذها عن تلميذه "يونس بن حبيب"، وكأنه لم يلقه ولم يجلس إليه[4].

وفي أخباره ما يدل على أنه كان يأخذ بالاطراد في القواعد، ويتشدد في القياس، فقد قال له بعض معاصريه: «أخبرني عمّا وضعتَ ممّا سميتَه عَربيّة، أيدخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا، فقال له: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حُجَّة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات»[5].

ورُويت له في كتب النحاة بعض الآراء النحوية، ومن ذلك أنه:

- كان يرى أن المنصوب في قولهم: "حبّذا محمدٌ **رجلًا**" تمييز، لا حال[6].

- وكان يترك صرف "سبأ" في قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ **سَبَإٍ** بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[النمل/22]، وكأنه جعله اسما للقبيلة حمْلا على المعنى. قال الشاعر:

مِنْ سَبَأَ الحَاضِرِينَ مَأْرِبَ إِذْ***يَبْنونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا[7].

- وكان يذهب إلى أن بني تميم تهمل "ليس" مع "إلّا" حملا على "ما"، كقولهم: "لَيْسَ الطِّيبُ إِلَّا **المِسْكُ**"، بِالرَّفْع على الإهمال، وَلَا ضمير فِيهَا. "وَقد نازعه فِي ذَلِك عِيسَى بن عمر، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَمْرو: نِمْتَ يَا أَبَا عُمَرَ وأَدْلَجَ النَّاسُ. لَيْسَ فِي الأَرْض حجازي إِلَّا وَهُوَ ينصب، وَلَا تميمي إِلَّا وَهُوَ يرفع. ثمَّ وَجه أَبُو عَمْرو خَلَفًا الأَحْمَرَ، وَأَبا مُحَمَّد اليزيدي إِلَى بعض الحِجَازِيّينَ، وجهدا أَن يُلَقِّناهُ الرّفْعَ، فَلم يفعل. وَإِلَى بعض التّميميين، وجهدا أَن يلقناه النصب، فَلم يفعل. ثمَّ رجعا، وأخبرا بذلك عِيسَى وَأَبا عَمْرو، فَأخْرج عِيسَى خَاتمه من أصْبعه، وَرمى بِهِ إِلَى أبي عَمْرو، وَقَالَ: هُوَ لَك بِهَذَا فُقْتَ النَّاسَ»[8].

ويرى شوقي ضيف أن أبا عمرو «لم يكن نحويا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، وإنما كان لغويا وراويا ثقة من رواة الشعر القديم، إذ كان قد سمع عن العرب وأكْثَرَ من السماع»[9].

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998، 321/1.

[2] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص27.

[3] ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (د ط)، (د ت)، 1/ 249.

[4] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص27.

[5] الزُّبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص39.

[6] ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، (د ط) 1991، 2/ 535.

[7] ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، (د ط)، 2009، 2/ 65.

[8] ينظر: القفطي، إنباه الرواة، 136/4 وما بعدها. والسيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ط)، 1992، 2/ 80.

[9] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص28.

4- <u>يونس بن حبيب (94 هـ- 182 هـ)</u>[1]: من موالي بني ضَبَّة، وهو من تلاميذ ابن أبي إسحاق. ويظهر أنه اختلف إلى حلقات عيسى بن عمر، وقد لزم أبا عمرو بن العلاء. رحل إلى البادية، وسمع عن العرب كثيرا؛ مما جعله راويا كبيرا من رواة اللغة والغريب، ولعل ذلك ما جعله يُصنّف كتابا في اللغات.

وكانت حلقته في البصرة تغصّ بالطلاب، وفي مقدمتهم أبو عبيدة اللغوي، وسيبويه الذي يذكره كثيرا في كتابه، ولكن غالبا في شواهد اللغة، لا في الآراء النحوية، فسيبويه -على ما يبدو- لم يكن يعجب بتلك الآراء[2]. كما سمع منه الكسائي والفرّاء[3].

وكان "يونس بن حبيب" في نحوه وما وضعه من أقيسة أُمّة وحده. وقد تنبه إلى ذلك القدماء، فقالوا: «كان له مذاهب وأقيسة تفرد بها»[4].

ومن آرائه التي تخالف آراء سيبويه وأستاذه الخليل:

- أن الخليل كان يرى أنّ الزائد في مثل: "قطّع" هو الحرف الأول، وكان يونس يرى أنه الحرف الثاني[5].

- وكان الخليل يرى أن مفعول "نَنْزِع" محذوف في الآية الكريمة: ﴿لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ [مريم/69]، والتقدير: لَنَنْزِعَنَّ الفَرِيقَ الذينَ يُقالُ فيهم: أَيُّهُمْ أَشَدُّ، وقال يونس: جملة "أَيُّهُمْ أَشَدُّ" هي المفعول[6].

- وكان الخليل وسيبويه يريان أن تصغير قبائل: قُبَيْئل، وكان يونس يرى أن تصغيرها: قُبَيِّل[7].

- وكان يذهب إلى أن "تاء" أخت و"بنت" ليستا للتأنيث؛ لأن ما قبلها ساكن صحيح، ولأنها لا تبدل في الوقف هاء[8].

لقد كان يونس بن حبيب من كبار رواة اللغة والغريب، وعلى الرغم من أقيسته النحوية التي تفرّد بها إلا أنه لم يكن له أثرٌ كبير في تطور نظرية النحو العربي. قال شوقي ضيف: «وعلى هذا النحو وقع يونس بعيدا عن تطور نظرية النحو على شاكلة ما انتهت إليه في الكتاب عند سيبويه. والنحاة الذين يوضعون بحق في تطورها هم: ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، ثم الخليل بن أحمد، وسيبويه»[9].

---

[1] ينظر ترجمته في: أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، ص34. والسيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص27 وما بعدها. والزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص51 وما بعدها. وابن الأنباري، نزهة الألباء، ص52 وما بعدها. والقفطي، إنباه الرواة، 74/4 وما بعدها.

[2] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص28.

[3] السيرافي، أخبار النحويين البصريين، ص27.

[4] ابن الأنباري، نزهة الألباء، ص52.

[5] ابن جني، الخصائص، 2/ 61.

[6] ابن هشام، مغني اللبيب، 1/ 91.

[7] سيبويه، الكتاب، 439/3.

[8] ابن هشام، شرح التصريح على التوضيح، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000، 1/ 72.

[9] شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص29.